*الجناس من المحسنات اللفظية*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ *أيمن محمد أبو بكر*

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*ayman.abobakr@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في الجناس من المحسنات اللفظية**

**الكلمات المفتاحية : لغة العرب ،المشاكلة ، فنون البديع**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن الجناس من المحسنات اللفظية**

1. **عنوان المقال**

**الجناس في لغة العرب: كالمجانسة مصدر جانس، يقال: جانس الشيء الشيء إذا اتَّحد معه في الجنس، أو شاكله في بعض خواصه، يقال: هذا يجانس هذا أي: يشاكله، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس، إذا لم يكن له تمييز ولا عقل، فالمادة تدور حول الاتحاد والمشاكلة، والجناس في الواقع فن واسع من فنون البديع لم يُعهد في فن منها أن كثرت تعاريجه، واتسعت مسائله، واختلفت صوره كما هو الحال في فن الجناس.**

**إذن فإن وضع حدٍّ لهذا الفن يجمع أطرافه، ويلم شتاته ليس بالأمر السهل الهين، ومن ثَمَّ فإن الكاتبين في البلاغة يفرون من وضع تعريف له، ويكتفون بوضع تصور أو ضابط بنوع من أنواعه، أو فرع من فروع، الأمر الذي أدَّى إلى كثرة التعريفات مع ما فيها من قصور وعدم وفاء بأطراف هذا الفن المترامية.**

**فقد أشار الخليل إلى الجناس بقوله: الجنس لكل ضرب من الناس، والطير، والعروض، والنحو فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها ومعناها، وما يشتق منه مثل قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يوم خلجت على الخليج نفوسهم** | **\*** | **.... .... .... .... ....** |

**أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قوله تعالى: {ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ} [النمل: 44]، وللأصمعي كتاب يُنسب إليه يُسمى كتاب: (الأجناس)، وابن المعتز يعدُّه من الفنون الأساسية للبديع، ثم ما لبث أن نما الجناس، وتشعبت فروعه، وكثرت أنواعه، وتعددت مصطلحاته، ولعل ذلك يرجع إلى إسراف الشعراء وإكثار الكتاب من هذا اللون، وتفننهم في صنوفه وأشكاله، وبخاصة في العصور المتأخرة.**

**والذي يُفهم من كلام القدماء، أن الجناس عندهم اتحاد اللفظتين، أو الطرفين في الصورة والتلفظ مع اختلافهما في المعنى، ترى ذلك واضحًا في قول ابن الرومي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **للسود في السود آثار تركن بها** | **\*** | **وقعًا من البيض يثني أعين البيض** |

**فقد جاءت كلمة السود في الشطر الأول مرتين، كما جاءت كلمة البيض في الشطر الثاني مرتين كذلك، وكلمة السود في الشطر الأول مع تكررها، إلا أنها جاءت في المرة الأولى بمعنى، وفي المرة الثانية بمعنًى آخر، فمعناها في المرة الأولى الليالي، ومعناها في المرة الثانية الشعر الأسود، والمعنى: أن لليالي السوداء بما تجلب من هموم آثارًا واضحةً في شعر المهموم الذي يمضي ليله ساهرًا قلقًا، فأنت تلاحظ: أن في الشطر الأول طرفين هما كلمة السود الأولى وهو الطرف الأول، والثانية وهو الطرف الثاني، وقد جاء الطرفان متحدين صورةً ولفظًا إلا أن معناهما مختلفًا كما ترى.**

**وكذلك كلمة البيض التي جاءت في الشطر الثاني مكررة مرتين، الأولى بمعنًى والثانية بمعنًى آخر؛ فقد جاءت في الأولى بمعنى الشعيرات البيضاء، والثانية بمعنى الغانيات الفاتنات صويحبات البشرة البيضاء، ومعنى هذا الشطر أن الغانيات البيض صُددن عنه؛ ظنًّا منهن أن شعره قد شاب لكِبر في سنه، فأنت تلاحظ: أن في هذا الشطر كالذي قبله طرفين: الأول كلمة البيض بمعنى الشعيرات البيضاء، والثاني كلمة البيض بمعنى الغانيات الفاتنات، وقد اتحد الطرفان صورةً ولفظًا، واختلفا معنًى كما هو واضح.**

**وقد عرف ابن الأثير الجناس: بأنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، ومثل له بقول النبي : ((أسلم سالمها الله، وغِفار غفر الله لها، وعُصية عصت الله))، ففي الحديث ثلاثة جناسات: الأول: بين أسلم وهي قبيلة، وسالمها دعاء بالسلامة، والثاني: بين غفار اسم قبيلة، وغفر الله لها دعاء لها بالغفار، والثالث: بين عُصية اسم قبيلة، وعصت الله إخبار عن عصيانها لله، فأنت تجد في كلٍّ من هذه الجناسات طرفين تشابهت صورتهما ولفظهما، وكان بينهما نوع من الاتفاق إلا أنهما في المعنى مختلفان.**

**ومن الجناس ما هو حسن، ومنه ما هو قبيح: فيجيء الجناس حسنًا رائعًا إذا قصد إلى غاية تخدم غرض المتكلم، كأن يخدعه عن حقيقة ما أراد وقد أعطاها له، أو يوهمه بأنه يكرر لفظًا دون فائدة، مع أن الفائدة محققة، أو يجعله يظن أنه لم يزده شيئًا مع أنه أحسن الزيادة ووفاها حقها من السماحة والقبول، كما أن الجناس يحسن ويلطف إذا كان موقع اللفظين من العقل موقعًا حميدًا، وكانت المناسبة بينهما واضحة قريبة، ولا تعقيد فيها ولا التواء، أما إذا لم يكن تحت الجناس فائدة، ولم يكن ثمَّة غرض يرمي إليه المتكلم، واقتصر الأمر على تكرير الكلمات والحروف دون قصد يخدم غرضه، فإن الجناس يأتي سمجًا مرذولًا، كما أن الجناس يجيء غثًّا قبيحًا إذا لم يقع موقعًا حسنًا من الكلام، أو كانت المناسبة بين اللفظين فيها نوع التواء، أو عدم وضوح.**

**ويقول الإمام عبد القاهر: "إنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمًى بعيدًا"، أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت** | **\*** | **فيه الظنون أمذهب أم مُذهب** |

**واستحسن تجنيس القائل:**

|  |
| --- |
| **حتى نجا من خوفه وما نجا** |

**وقول المحدث:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ناظراه فيما جنى ناظراه** | **\*** | **أو دعاني أُمُت بما أودعاني** |

**لأمر يرجع إلى اللفظ؟ أو لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني؟ ورأيتك لم يزدك بمذهب، ومُذهب على أن أسمعك حروفًا مكررةً تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولةً منكرةً، ورأيت الآخر قد أعطاك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة، وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها، فبهذه السريرة سار التجنيس، وخصوصًا المستوفى منه المتفق في الصورة، من حُلى الشعر، ومذكورًا في أقسام البديع. انتهى من كلامه، في: (أسرار البلاغة).**

**ويجب في الجناس أن يكون سهلًا لا كُلفةَ فيه، وإلا كان قبيحًا، والبلاغيون حين قسموا المحسنات البديعية إلى محسنات معنوية ومحسنات لفظية، وفرَّقوا بينهما بأن المحسن المعنوي ما كان التحسين فيه راجعًا إلى المعنى أولًا بالذات، واللفظي: ما كان التحسين فيه راجعًا إلى اللفظ أولًا بالذات. وضعوا ضابطًا يُفرقون به بين النوعين، فضابط المعنوي أنك إذا غيرت بعض الألفاظ الدالة عليه بما يرادفه لا يتخلف التحسين، وضابط اللفظي على عكس ذلك. فلو غيرت اللفظ بما يرادفه لذهب التحسين واختفى المحسن، وبِناء على هذا الفرق فإن الجناس داخل في المحسنات اللفظية؛ إذ أن التحسين فيه راجعٌ إلى اللفظ أولًا وبالذات، وضابط المحسن اللفظي ينطبق عليه.**

**غير أن جمهور البلاغيين احترسوا لهذا الفرق، وقالوا: إن التجنيس في المعنوي وإن كان راجعًا إلى المعنى أولًا بالذات، إلا أن هناك تحسينًا يرجع إلى اللفظ وإن كان عَرَضيًّا، وكذا المحسن اللفظي، فبالرغم من أن التحسين راجع فيه إلى اللفظ، إلا أن المعنى أيضًا يناله بعض التحسين، فالجناس وإن كان محسنًا لفظيًّا، هذا ما يريدون الوصول إليه إلا أن التحسين فيه يتعدى اللفظ والجرس إلى المعنى، وقد نبَّه إلى ذلك الشيخ عبد القاهر في (أسرار البلاغة) في قوله: رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه، وكونه من أسبابه ودواعيه، لا يكاد يعد نمطًا واحدًا، وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالاتهم، ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيًّا غريبًا، أو عاميًّا سخيفًا، وها هنا أقسام قد يتوهم في بدء الفكرة، وقبل إتمام العبرة أن الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس إلى ما يناجي فيه العقل والنفس.**

**ولها إذا حُقق النظر مرجع إلى ذلك، ومتصرف فيما هنالك: منها التجنيس والحشو، أما التجنيس فإنك لا تسحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمًى بعيدًا.**

**ويؤكد الإمام عبد القاهر على أن التحسين في الجناس لا يتم في اللفظ إلا بنصرة المعنى، وأن التحسين في الجناس لو كان في اللفظ فقط لما كان مستحسنًا، وذلك قوله: فبيَّن لك أن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن، ولذلك ذُمَّ الاستكثار منه، والولوع به، وذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه؛ إذ الألفاظ خَدَم المعاني، والمصرفة في حكمها. وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها، فمَن نثر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنة الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشيء. انتهى من كلامه.**

**فالحاصل أن الجناس محصل لفظي، وإن كان التحسين فيه شاملًا لكلٍّ من اللفظ والمعنى، إلا أن التحسين فيه لما كان راجعًا إلى اللفظ أولًا بالذات عُدَّ ضمن المحسنات اللفظية.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**